اسهامات عبد الرحمن الحاج صالح في الدّرس اللّساني الحديث النّظريّة الخليلية الحديثة انموذجا.

Abdul Rahman Al-Haj Saleh's Contributions to the Modern Linguistic Lesson.

أ. مبدوعة كريمة[1]

تاريخ الاستلام: 2021.09.15 تاريخ القبول: 2021.12.02

ملخص: إن أهم اسهامات العلاّمة "عبد الرحمن الحاج صالح" في الدّرب اللّغوي الحديث هو النّظرية اللّسانية الحديثة التي جاء بها هي النّظرية الخليلية الحديثة هذه النظرية التي اهتم الحاج صالح عبد الرحمان فيها بقراءة التراث العربي الذي يمثل مستخلصات ثمانية قرون أو تزيد من مخاض التّفكير اللّغوي عند العرب في ضوء النّظريات اللّسانية الحديثة . ليبين عبر هذه النّظرية تجاوز مرحلة الاقتباس السلبي عند نقلها عن الغرب، أو عند نشرها عن العرب، وبنى قراءتها للتراث وتأصيل أفكاره علميا بعيدا عن العاطفة على أساسيين، أولهما: أن التراث العربي لا يفسره إلا التراث العربي فكتاب "سيبويه" على سبيل المثال لا يفسره إلا كتاب "سيبويه"؛ لأنه من المحال أن نُسقط على التراث مفاهيم وتصورات لا تأخذ في الحسبان خصوصياته. وثانيهما: أن التراث العربي في العلوم الإنسانية عامة، واللّغوية خاصة ليس طبقة واحدة من حيث الأصالة والإبداع.

كلمات مفتاحية: النّظرية الخليلية الحديثة، النّظريات اللّسانية الغربية، النّحو العربي، منطق ارسطو، القياس العربي.

[1]جامعة خميس مليانة عين الدفلى، البريد الإلكتروني: karim2015@yahoo.com
(المؤلف المرسل)

Summary: The most important contribution of the mark "Abdel Rahman Saleh Saleh" in the modern linguistic path is the modern linguistic theory, which is the theory of modern Hebron This theory, which Haj Saleh Abdel Rahman, where reading the Arab heritage, which represents the extracts of eight centuries or increase the labor of linguistic thinking in the Arabs In the light of the modern linguistic theories and proved the importance of this, and this means that the basic concepts of modern Hebron theory tended to re-read the original linguistic heritage of the Arab, and research in the nostrils, not a victory for the old, not to talk in itself, but to alert to the spontaneous boom Caused by a sudden "Sibawayh" and his elders, and his disciples in the history of the human tongue science.

Key words: Modern Hebronatology, Western linguistic theories, Arabic grammar, Aristotle's logic. Arabic analogy

مقدمة: اهتم العلاّمة "عبد الرحمن الحاج صالح" بالتراث العلمي اللّغوي الأصيل الذي خلّفه أولئك العلماء العرب المبدعون الذين عايشوا الفصاحة اللّغوية الأولى، وشافهوا فصحاء العرب، وجمعوا اللّغة، ودونوها خدمة للنص القرآني المقدس الذي كان يحتاج إلى الفهم والتفسير، والتعليل في ضوء اللّغة العربيّة النقية ليبرهن من خلال هذه النظرية صحّة ما تميّز به التراث العربي من أصالة وتميّز بعيدا عن كل التأثيرات الخارجية.

يحاول هذا البحث إثبات الإسهامات التي قام بها العلاّمة والدور الفعّال الذي لعبه هذا العبقري في الدّرس اللّساني الحديث بدءاً من أصالة المبادئ التي قامت عليها هذه النظرية وتميّزها ويركز على القضايا النحوية الأصيلة ومسايرتها لأحدث النظريات اللّغوية الغربية.

تعد النّظرية الخليلية من أهم النظريات اللسانية الحديثة التي أسسها العالم اللساني الجزائري عبد الرحمان الحاج صالح والتّي بناها على مبادئ النظرية النحوية العربية القديمة وسمّاها النظرية الخليلية الحديثة.

تبنى النّظرية الخليلية الحديثة على إعادة وإحياء الفكر اللّغوي والتراثي وإخضاعه أو تطويره حتى يتوافق ومتطلبات الدّراسة الحديثة، فهي تمثل اجتهاداً باعتباره قراءة جديدة لما تركه علماء اللغة العرب وعلى رأسهم الخليل بن أحمد **الفراهيدي** و**سيبويه**.

وقد سعى العلامة عبد الرحمان الحاج صالح الى التوفيق بين القديم والحديث حيث رد أحد محاضراته عندما سئل: هل أنتم من المحافظين؟ فأجاب: لست محافظا ولا مجدّدا، ولكن أبحث عن المفيد، اكتشفنا في القديم شيئا عظيما لم نجده في الحديث ولو اكتشفناه في الحديث لأخذنا به**"**.[1]

اعتمد على النحو الخليلي كمصدر لبناء نمط لغوي حديث لإحياء هذا التراث الخليلي القديم على شكل مفاهيم جديدة مستعينا بدرايته الواسعة في ميدان اللسانيات الحديثة على اختلاف وجهات **نظرها**. [2]

ويقول عبد الرحمان الحاج صالح: "طالما نادينا إخواننا اللّغويين إلى الرجوع إلى التراث العلمي اللّغوي الأصيل ومازلنا إلى يومنا هذا نحاول أن نقنع الناس على ضرورة النظر فيما تركه أولئك العلماء الأفاضل الذين عاشوا في الصدر الأول الإسلامي حتى القرن الرابع للهجرة. "[3]

ينبه إلى ضرورة العودة إلى التراث الأصيل والمحدد زمانيا من الصدر الأول الإسلامي إلى القرن الرابع للهجرة وهي الفترة التي تم فيها استنباط قواعد النحو العربي بعد مشافهة الأعراب.

كان انشغال النظرية الخليلية منصباً على التراث العلمي اللغوي الأصيل الذّي خلّفه أولئك العلماء العرب المبدعون خدمة للنص القرآني الذي كان يحتاج إلى تفسير وتعليل في ضوء اللغة العربية الفصيحة والتقنية.

1/ ماهية النّظرية الخليلية:

"أ" لغة على أنها مصطلح مشتق من الكلمة الثلاثية نظر ومعناها التأمل أثناء التفكير بشيء ما.

"**ب**" **اصطلاحا:** فتعرف بقواعد ومبادئ تستخدم لوصف شيء ما سواء كان علميا أو معرفيا، وقد تثبت النظرية حقيقة معينة أو تسهم في دراسة موضوع معين من أجل استخلاص مجموعة من الخلاصات.

– لا يفسّر التراث إلا التراث فكتاب سيبويه لا يفسره إلا كتاب سيبويه ومن الخطأ أن يسقط التراث مفاهيم وتطورات دخيلة فيتجاهل خصوصياته النوعية.

– التراث اللغوي ليس طبقة واحدة من الأصالة والإبداع، فهناك تراث وتراث فالتراث الذي تعلقت به النزعة الخليلية الحديثة هو التراث اللغوي الأصيل الذي تركه المبدعون الأوائل الذين عاشوا في أمان الفصاحة اللغوية الأولى، وقاموا بالتحريات الواسعة للحصول على مدونة لغوية شاهدها تاريخ العلوم اللّسانية.

2/ التّأسيس للنظرية الخليلية الحديثة: يقول عبد الرحمان الحاج صالح عن فكرة التأسيس للنظرية والمبادئ المعتمدة فيها:" وقد حاولنا منذ ما يقرب من ثلاثين سنة أن نحلل ما وصل إلينا من تراث فيما يخص ميدان اللغة وبخاصة ما تركه لنا سيبويه وأتباعه ممن نتمنى إلى المدرسة الخليلية، وكل ذلك بالنظر في الوقت نفسه فيما توصلت إليه اللسانيات الغربية، وكانت النتيجة أن تكون مع مرور الزمان فريق من الباحثين المختصين في علوم اللسان بمعناه الحديث يريد أن يواصل ما ابتدأه الخليل وسيبويه ومن تبعهما لكن بعد التمحيص لما تركوه من الأقوال والتخيلات أي بعد التحليل النقدي الموضوعي". [4]

3/ الدّافع والسبب في نشأة النّظرية الخليلية: إن المحفّز الرئيسي للمشتغلين على النظرية الخليلية هو صحة الأوصاف وصحة التحليلات التي قدمها علماء اللغة الأوائل في وضعهم للمدونة اللغوية وما لوحظ عليها من تفوقها في كثير من الأحيان النتائج التي توصلت إليها اللسانيات الغربية في العصر الحديث وفي هذا يقول العلامة الحاج صالح: "ازدهرت البحوث اللغوية الحديثة بفضل ما وضعه العلماء من نظريات عميقة حول اللغة، وبفضل ما تحاوله هذه البحوث من استثمار واسع لهذه النظريات ومستقبل كل البحوث اللغوية مرهون في اعتقادنا

بمدى نجاح هذا الاستثمار بالنسبة لكل لغة، والذي نريد أن ينتبه إليه إخواننا هو وجود نظرية استخرجها بعض الباحثين الجزائريين، مما أخرجه علماء النحو الأولون، ويبين هذه النظرية على عدد من المفاهيم والتصورات قد لا يوجد في اللسانيات الحديثة مما يماثلها بل قد تفوقها إلى حد بعيد، وهذا ما حاولنا أن نبرهن على صحته بتحرير هذه النظرية وصياغتها صياغة منطقية حتى يمكن أن نقارن بينها وبين النّظريات الحديثة"[5].

إن مفاهيم هذه النّظرية مراعى فيها خصوصية اللّغة العربية، ولذلك فهي تعكس في جزء من وصفها بنية ونظام اللغة العربية بخلاف النظريات الواحدة التي تثبت مخالفتها وتشابهها مع بنية ونظام اللغة وما يدل على ذلك موافقة جزء من اللغة على تلك النظرية وعدم كفايتها وصفيا أو تطبيقيا لبنية اللغة الغربية يقول الحاج صالح في هذا المقام: "والذي زاد الطين بلة هو أن بعض معاصرينا ممن حظي بالاطلاع على ما ظهر في الغرب من آراء أو نظريات جديدة...في الظواهر وما إليها من الدراسات الجديدة التي تنتمي إلى ما أسموه ب (linguistique) أرادوا أن يطبقوا على العربية هذه النظريات دون نظر سابق كأنها حقائق مسلمة تطبق على كل لغة وليتهم فعلوا ذلك للاختبار وبينوا بعد الاختبار مدى ملاءتها للعربية". [6]

ومن جملة التّهافت لهذه النظريات الغربية والتعصب بها هو اتهام النحو العربي بالمعيارية بعيدا عن التصور العلمي للغة الذي ظهر في زماننا، كما تهجموا على النحويين المبدعين وتعسفوا في انتقاداتهم لهم بدعوى تقويم التّصورات الغربية فما لم يجدوه استصغروه وقلّلوا من قيمته، وفي هذا كله إلغاء للذات العربية المبدعة فدعا عبد الرحمان الحاج صالح في الكثير من مقالاته إلى إلغاء وتجنب هذا التّعسف في حق العلماء الأوائل والبديل هو البحث عن أصول المفاهيم الغربية للتمييز بين ما هو جديد وبين ما هو قديم لم تأت به النظريات الحديثة

والتركيز على البحث عما كان يقصده العرب الأوائل بالفعل في أقوالهم التي تركوها لنا في كتبهم مثل كتاب سيبويه وشروحه".[7]

لقد تحدث عن الدوافع التي حركت أصحاب النظرية الخليلية إلى إعادة الاعتبار للمنجز الخليلي قائلا: والذي جعلنا نفكر في حداثة أفكار النحاة الأولين ممن عاصر الخليل وأتباعه...هما شيآن اثنان: الفوارق الكبيرة جدا التي تفترق بها أفكار أولئك النحاة عن الأفكار النحوية العربية التقليدية... و أما الثاني: فهو أجمع عليه الناس...أن التحليل عند الخليل هو عملية رياضية محصنة فهذا شيء لا يتفق مع ما يتصوره اللسانيون في الوقت الحاضر، فإذا كان النحو العربي بدائيا فما هذا الاتجاه الرياضي الذي وجد عند الخليل؟ وهذا الذي يقال إنه نزعة رياضية ما هو؟

4/ مميزات النظرية الخليلية: لقد تميزت هذه النظرية بأنها ليست بالقديمة وليست نسخة لغيرها، بل هي تنبذ التقليد الأعمى الذي يفتقر إلى الحجة الصحيحة وتبنى على الإبداع الذي تأتي بالشيء الجديد والذي لم يسبق إليه مهما كان الزمان الذي يعيش فيه ويمكن تلخيص مميزات النظرية فيما يلي:

– إن أهم ما تميزت به النظرية هو الأصالة والتي تمثلت في قراءة القديم وعدم رفض الحديث بتعبير الحاج صالح، الذي اعتمد على نوعين من الأصالة في حل مقالاته هي التأصيل من الداخل حينما يتعلق الأمر بتميز النّظرية الخليلية الأصلية عن النّظرية النحوية عند المحدثين من النحاة والتأصيل من الخارج حينما يتعلق الأمر بتميز النظرية الخليلية عن كل النظريات الغربية القديمة والحديثة.

أ–الأصالة الداخلية: يرى الحاج صالح أن النحو العربي هو من أرسى دعائمه الخليل وسيبويه وهو نسخة عربية أصلية متميزة بمنطلقاتها وتصوراتها وأفكارها ولم يفرض عليها شيء خارجي.

وبعد القرن الرابع للهجري كان المنطلق الارسطو قد غزا الفكر العربي فلم تعد تلك المنطلقات الأصلية هي تلك المنطلقات التي كانت عند سابقيهم، قد كان مرتكز هذه النظرية بيان اختلافات المفاهميّة بين نحو المتقدمين ونحو المتأخرين على نحو ما بينه العلامة عبد الرحمن الحاج صالح.

ب/ الاصالة الخارجية: هذا معناه نفي التقليد واثبات التميز من جهة إثبات الأصالة النظرية الخليلية من حيث عدم تأثرها بالروافد الخارجية كالمنطق الأرسطي ومن جهة أيضا إثبات تميزها عن النظريات الغربية الحديثة وقد ناقش عبد الرحمن الحاج صالح قضية النحو العربي والمنطق الأرسطي.

ج ـ النحو العربي والمنطق الأرسطي: يقول الحاج الصالح: "والغريب المقلق ان اظهر الآراء تنكر أن يكون النحاة العرب قد أخرجوا شيئا جديدا لعجزهم عن الإتيان بهذا الصنع المبتدع وذهبوا يقارنون بين مصطلحاتهم وما صنع اليونان من قبلهم في علم النحو، ورأوا في تقسيم العرب للكلام تقسيما أرسطو طاليسيا ليس محضا[8]." ونفى العلامة هذا الزلل لأن مجرد التشابه لا يعني النقل ، ولم يكتف عبد الرحمن الحاج صالح بتفنيد تأثر سيبويه او غيره بالآداب الأجنبية بل حتى النصوص النحوية العربية لا توجد فيها الإشارة ولوسيطة إلى المصادر الأجنبية في كتب النحاة الأقدمين ، كما فند من خلال ذلك المشابهة في تقسيم الكلام إلى ثلاثة أقسام نظرا لاختلاف الغرض ، عدم التسليم بالتقسيم الثلاثي عند أرسطو ، كما فرق بين مصطلح التصريف عند العرب ومصطلح التحول الإعرابي (Déclinaison)وتصريف الأفعال(conjugaison) يقول الحاج صالح: «يؤخذ عليه أن كلمة صرف عند سيبويه لا تدل على تحويل صنع الأفعال أبدا إنما هي صبغة للاسم المتمكن ألامكن ..ثم إن علم الصرف تسمية محدثة قابلوا بها علم النحو ، ولم يكن هذان العلمان منفصلين في اول الأمر لا يدخل في هذا العلم (الصرف) إلا التحول الفردي ، وليس خاصا بالأفعال[9]."

وقد توسع الحاج صالح في مناقشة ادني شبهة يمكن ان توهم القارئ بفكره التأثر والتأثير بين الفكر العربي الأصيل والفكر الأجنبي اليوناني، يضاف إلى ذلك فكرة تقسيم الكلام الى ثلاثة أقسام مفندا المشابهة في ذلك نظرا لاختلاف الغرض، وكذا تفنيده لتوافق بين مدلول مصطلح .... عند أرسطو ومدلول الحدث عند النحاة العرب الذي هو "المعنى الذي يدل عليه الفعل والمصدر." [10]

والمدلول عند أرسطو لا يكاد يتفق مع مدلولهم إلا في الوصف المشتق منه على صيغة اسم الفعل (الحادث) الذي يجرى استعماله عند فلاسفة العرب[11]. وهناك عدة أمثلة بالإمكان الرجوع اليها في مقاله المشهور النحو العربي والمنطق الأرسطي.

5/ المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية: إن تميّز النظرية الخليلية الحديثة وتميّزها بفرض على كل باحث أن يبين المبادئ والمفاهيم التي جاءت بها الدعوة الى التخلي والابتعاد عن كل ما يدعو الى التماعي لما وصل اليه الغرب في العصر الحاضر، والتمسك بالتراث الاصيل والعمل على تبينه واستخراجه وتوضيحه والاهتمام به أكثر وترسيخ المفاهيم النحوية العربية الأصلية ومسايرة العصر خاصة.

وقد لخص الحاج صالح عددا من المبادئ والمفاهيم لتحليل اللغة وقد اعتمد عليها العلماء القدامى وزعيمهم في ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي وهي كالآتي:

1ـ **مفهوم الاستقامة:** اشار الحاج صالح الى تمييز القدماء بين السلامة الخاصة باللفظ والسلامة الخاصة بالمعنى عند .... كما ميز أيضا بين السلامة التي

–1يفرضها الاستعمال الحقيقي للناطقين والسلامة التي يقتضيها القياس و...هذا التميز كما يلي :

–مستقيم حسن : سليم في القياس والاستعمال معا؛

–مستقيم قبيح : خارج عن القياس وقليل من الاستعمال ، وهو غير نحن؛

–محال : قد يكون سليما في القياس ولكنه غير سليم من حيث المعنى.

فالفكرة هذه تقوم على التحليل الذي كان ينطلق منه النحاة، فاللفظ اذا فسّر وفق الاعتبارات المعنوية فهو تفسير معنوي، اما اذا حصل التفسير على اللفظ دون اي اعتبار للمعنى فهو تحليل لفظي نحوي." [12] وقد بنى النحاة ذلك إن اللفظ الأول ، انه هو المتبادر الى الذهن اولا ثم يفهم منه المعنى، ويترتب على ذلك أن التحليل يجب ان ينطلق من اللفظ في ابسط احواله ، فالنحاة العرب لم يخلطوا بين هذين التحليلين كما رأى الحاج صالح أنهم كانوا يميّزون بين التحليل القائم على أساس اللفظ و بين التحليل القائم على أساس المعنى تمييزا دقيقا ويقول الحاج صالح:" فالتخطيط بين هذين الاعتبارين يعتبر خلطا وتقصيرا، وذلك كالاقتصار على تحديد الفعل بأنه ما دل على حدث وزمان، فهذا تحديد على المعنى فهو جيد ولكنه من وجهة المعنى، أما التحديد على اللفظ فهو ما تدخل عليه من زوائد معنية ، كالسين و ..... الضمير في بعض صيّغه." [13]

2 ـ مفهوم الانفراد: يتحدد هذا المفهوم انطلاقا من فكرة الاتصال والانفصال يعني الطريقة التي كان يعتمدها النحاة في ضبط وحدات اللغة، فيرى الحاج صالح ان مفهوم اللفظة وهي وحدة لغوية مفهوما عربيا خاصا لا وجود له في اللسانيات فتعني الكلمة التي يمكن انفرادها كما تعني الكلمة .....التي لا يمكن ان تخرجها عن بابها مع إمكان نيابتها عن تلك الكلمة المفردة ، فالنظرية الخليلية منطلقها الواقع الحدث الكلامي أي من الخطاب نفسه معتمدين في ذلك معيار الانفصال والابتداء" أي ما يكون قطعة منفردة في السلسلة الكلامية المفيدة لا يسبقها ولاياتي بعدها شيء من الزوائد ويمكن الوقوف عليها كقولك زيد وكتاب في الإجابة عن : ما هذا ؟ وماذا أخذت؟ [14] فمثلا الاسم قد يكون كلمة مفردة وقد تدخل عليه زوائد لا تخرجه عن حد الاسمية لأنه يبقى متسميا بسمة الانفصال والابتداء مثل: المدير المحترم الذي كرم الطلبة، يشكل لفظة واحدة، وهذه اللفظة مكونة من مجموعة من الكلمات لا تخرجه عن حد الاسمية.

ـ 3ـ **الموضع والعلامة** العدمية: يعد الموضع المحل التجريدي الذي يمكن ان يجعل او يحل فيه عنصر من العناصر المؤثرة ، فإذا خلا ذلك المحل من العنصر سمي علامة عدمية ، وقد أشار الحاج صالح إلى أن المواضيع التي هي النواة وتدخلها الزوائد ، وتخرج منها بعمليات الوصل ، وقد تكون فارغة لأن المواضع شيء وما تحتوي عليه هو شيئا اخر ، لان خلو الموضع من العنصر هو " الخلو من العلامة او تركها[15] ويطلق الحاج صالح على هذا المفهوم العلامة العدمية " وهي تعني أن الكلمة موجودة بمعناها ولكنها مختفية غائبة في مظهرها المحسوس " [16] حيث تختفي هذه العلامة بمقابلتها علامة ظاهرة في موضوع أخر.

1-وضرب الحاج صالح مثلا بجميع **العلامات** التي تميز الفروع عن أصلها المفرد والمذكر ، فقد يذكر عامل لفظي وقد لايذكّر تاركا المحل لعامل أخر هو العامل المعنوي ، كما يمكن التمثيل للموضع والعلامة العدمية على مستوى اللفظية كذلك ، وذلك حتى يتعلق الأمر بالعلامات التي تميز الأصول من الفروع (المفرد والمثنى والجمع) المذكر والمؤنث.

4ـ **العامل:** يعتبر العامل المحرك الحقيقي لعناصر الجملة ، فهو يرتبط ربط تبعية بالبنية التركيبية للجملة فهو الضابط لترتيبها ولعلاقاتها في النّظرية التحليلية والمحدد لوظائفها التركيبية ولإسناد الحركات الإعرابية المناسبة لها حيث لاحظ النحاة ان الزوائد على اليمين تغير اللفظ والمعنى ، بل تؤثر وتتحكم في بقية التركيب كالتأثير في اواخر الكلام" [17] ويعد العامل الفكرة الجوهرية التي تتأسس عليها نظرية النجاة العرب ، فلم يجد الحاج صالح حرجا في ان يعتبره عاملا أساسيا في التحليل النحوي العلمي العربي ، فكل تغيير يحدث في المبنى والمعنى إنما يجيء تبعا لعامل في التركيب. [18].

5ـ **الأصل والفرع:** جعل الخليل وسيبويه النظام اللغوي كله أصولا وفروعا والفرع الأصل مع الزيادة اي مع شيء من التحويل ويحصل ذلك بتفريغ بعض

العبارات عن عبارات اخرى تعتبر ابسط منها وبالتالي أصولها فله دلالة تعد أصلا. هذا الأصل يمكن ان تدخل عليه زوائد تخرجه من الأصالة الفرعية غير إن فكرة الأصل والفرع ليست محصورة في مستوى اللّفظة او الجملة فقط بل نجدها تمتد لتشمل جميع مستويات اللغة عند النحاة العرب وبينوه على منهج علمي حمل الشيء على الشيء أو إجرائه عليه بغية اكتشاف الجامع الذي يجمعهما وهو السنة التي تجمع بين الأنواع الكثيرة من الجمل وينطلقون في ذلك كما يذكر الحاج صالح من ابسط الجمل وهي التي تتكون من عنصرين "زيد منطلق فتظهر بذلك كيفية تحول النواة بالزوائد "

6ـ **المثال:** يرى الحاج صالح ان مفهوم المثال لا مقابل له في اللّسانيات الغربية ولا يعرفه من اللسانيين الغربيين إلا عند (Galpin Jean) فالنحو حسب الحاج صالح كله مثل لأنها الصيغ والرسوم وهو شيء صوري تبنى عليه كل وحدات اللغة إفرادا وتركيبا ، فهو تمثيل لما تحدثه الحدود الإجرائية ، وعلى هذا فمثال الكلمة هو بناؤها ووزنها لأنه يمثل بكيفية صورية مجردة الهيأة التي تكون عليها هذا الجزء من اللفظة الذي يسمى بالكلمة فمثال الكلمة هو جميع حروفها الأصلية والزائدة مع حركاتها وسكناتها كل في موضعه فكلمة تقابل فان التاء والإلف فيها زائدة.

7 ـ **القياس والحركة:** القياس هو حمل شيء على شيئ لجامع بينهما أي حمل الكلام بعضها على بعض اذا كانت تنتمي إلى جنس واحد وهو ما يسمى في المنطق الرياضي النّظير على النّظير. وهو في النّظريّة الخليلية حمل بعض العناصر اللّغوية بأخرى لوجود علاقة بينهما أي انه أداة إجرائية تستنبط منه القواعد. يقول الحاج صالح: "أما القياس اللغوي فهو حمل شيء على شيء لوجود بنية جامعة بينهما او استنباط هذه البنية وإثباتها بهذا الحمل ... ثم ان هذا القياس اللغوي هو ايضا مثال مولد للعبارات السليمة ولذلك يتم به تفريع الفروع ابتداء من الأصل".[19]

أما مفهوم الحركة فهو ما يجب ان يميز بين الحركة كصوت مسموع (مصوت) لا يقوم مقام الحرف ولكنه من جنسيه ولذلك سميت حركة صغيرة وبين الحركة تمكن من إخراج الحرف ووصله بغيره والخروج منه الى حرف اخر هذا ما قصده القدماء من مفهوم الحركة.

ـ 8 ـ **مفهوم الوضع والاستعمال:** اللّغة نظام من الأدلة المتواضع عليها ويجب التمييز بين اللفظ الموضوع للدلالة على معنى والغرض الذي يؤديه اللّفظ. ويرى الحاج صالح دأب الكثير من اللسانيين العرب إسقاط ما توصلت إليه أحدث النظريات اللّسانية الغربية على التراث العربي اللّغوي ، فسعى الحاج صالح إلى العكس من ذلك هو إثبات أصالة النظرية الخليلية من جهة وإثبات مدى مقدرة هذه النظرية على المنافسة من جهة أخرى، فكان منهجه منهجا مقارنا بين النظرية اللغوية العربية الأصيلة وبين النظرية اللغوية الغربية الحديثة ساعياً الى البحث عن العلم الصحيح ونبذ غير الصحيح قديما كان أم حديثا ، غربيا أم عربيا من جهة ومن جهة أخرى هو إثبات ما تنطوي عليه النظّرية الخليلية من تقدم علمي حيث تستطيع في حالة وضعها موضع الفحص أن تحافظ على صلاحيتها واستمرارها." [20]

حرص العلاّمة بذلك أن يكون أصلا في احيائه للتراث الخليلي متوخيا عدم التقليد للبنيوية ولا حتى التوليدية يقول عن ذلك:" لست متّبعا لأيّ منهج غربي أميل إلى تشو مسكي ولكن أرد عليه كثيرا ممّا كان يزعمه"،[21] لكن كان اهتمامه بهذين المنهجين البنّيوي والتوليدي كمنهجين لهما تأثيرهما البالغ على الكثير من اللسانيين العرب المحدثين ويمكن الوقوف على المقارنة بين النظرية الخليلية وهاتين النظريتين كما يلي :

6/ بين النظرية الخليلية العربية والبينوية الغربية: سعت البينوية منذ نشأتها الى دراسة اللغة لذاتها من اجل ذاتها بهدف الكشف عن النظام الذي تسير عليه

لغة من اللغات، فتجعل البنية هي المنطق والهدف. مؤسسها السويسري "فريديناند دو سوسير" Ferdinand de Saussure "، تميّزت بالدراسة الوصفية للغة.

لقد كان اهتمام الحاج صالح جليّا بالبنيوية يظهر ذلك من خلال عدد من العناوين مثل: "النحو العربي والبنيوية اختلافها النظري والمنهجي.

-أهم ما يوجد من الفوارق بين النحو والبنيوية.

-بعض ما يتفق فيه النحو العربي مع اللسانيات البنيوية» . [22]

- ينطلق البنيويون من واقع اللغة لظاهرة وكذلك النحاة الأولون.

فقارن بين ما جاء فيها بمبادئ الخليل ورأى أن نقاط الإلتقاء بينهما تتمثل في الانطلاق من واقع اللّغة، فالموضوع عند كل منهما هو " اللغة ذاتها ومن حيث هي أي من حيث كونها أداة للتبليغ وتلتفت الى ما كانت من قبل ان تعتبر إلى ما هي عليه فكلاهما يتناول اللغة بالتحليل الى إجرائها الكبرى والصغرى"[23]

ووجد الحاج صالح اتفاقا بين النحو العربي والبنيوية في قضية الانطلاق من المدونة في الدراسة لان المدونة هي دليل نظام اللغة ولا يمكن تغيير شيء منها او إضافة خطابات أخرى للباحث او لجماعة معينة من تلك اللّغة يقول الحاج صالح: "ونجد نفس التحرج عند النحاة العرب إذ لا يمكن أن يستشهد إلا بما هو ثابت لا يرد وما هو موجود في دواوين العرب .... فكل منهم يراعي الواقع كما هو". [24]

ورأى أيضا أنهما يتفقان في مبدأ الاقتصاد والفرق ويقابله عند النحاة العرب مبدأ الاستخفاف وامن اللبس يقول عن هذا الاتفاق: " أما الاقتصاد فهو ميل المتكلم الى التقليل من الجهود العضلية والذكرية التي يبذلها في عملية التخاطب وقد لجا النحاة أيضا إلى مبدأ الاستخفاف في تفسير ظواهر كثيرة مثل الحذف والإدغام والاختلاس ". [25]

وقد استشهد الكثير من الباحثين العرب لإثبات عملية النحو العربي وعلى اساس المنهج الذي انتهجه العلامة الحاج صالح في تأسيسه لنظريته المتميزة من

اعادة احياء التراث الخليلي والدفاع عنه من حيث بيان صحة ما تميّز به حتى وان كان مخالفا لما هو عند البينوية نجده قد استخلص مجموعة من الفروقات التي ميزت النحو العربي على الدراسات اللغوية الغربية وأهم هذه الفروقات هي :

أ-المعيارية والوصفيّة: ردّ الحاج صالح على انتقادات الوصفية للمعيار فالحكم على عبارة ما عند البنيويين بالخطأ أو الصواب يعد معيارية تنافي العلم لأن مفهوم الوصفية عند البنيوية يعرض مبدأين: الحكم على العبارات بالخطأ أو الصواب لموافقتها أو مخالفتها لمعيار اجتماعي ما. والمبدأ الثاني : محاولة تعليل الظواهر اللّغوية فيعني ذلك أن سيبويه من أبعد الناس عن العلم الموضوعي إذ يفضل حسب أقوالهم معياراً على آخر ، فنقد الحاج صالح وتخطى ذلك فالمعيار حسبه هو ظاهرة من سلوك الناطقين بها فلا يمكن وصف الحكم بالصواب والخطأ تحكّم محض ، فلا مسوّغ لردّه لأن " المعيار هو هذا الكل المنسجم من الضوابط التي يخضع لها بالفعل كل الناطقين أو أكثرهم"،[26] ويضيف الحاج صالح ان العرب حكمت على بعض الكلام بالجيد والمقبول وبعضه بالردئ والضعيف على أساس النظر إلى كلامهم من حيث القلة والكثرة ومن حيث الاطّراد والشذوذ.

ب ـ مستويات اللّغة، الاستعمال والوضع: يعتمد البنيويون في تحليل اللّغة على التشابه في مستويات اللغة ووحداتها المكونة لها لتحديد صفاتها الذاتية المكونة لها وتصنيفها يركز التحليل البنيوي على مستوى الوحدات الصوتية ثم الوحدات الدالة وهكذا أي من أصغر وحدة الى أكبر وحدة كما أنهم يعتمدون نظام التقابل من أجل التمييز بين عناصر المستوى الواحد.

أما التحليل النحوي العربي فيعتمد على اكتشاف مكانة ودور المستوى الواحد أجزاء العبارة التي ينحصر فيها[27] ويتجاوز ذلك بالبحث من دور اللفظ بالاستعمال فتجد النحاة العرب يميزون بين "ما هو موضوع للدلالة على معنى اي ما يخص بنية هذا اللفظ بقطع النظر عما يؤديه في واقع الخطاب.... وبين ما هو راجع الى استعمال هذا اللفظ وتأديته للمعاني المقصودة بالفعل. " [28]

فنظر العرب الى الوضع والاستعمال فالوضع مكنهم من ايجاد الجامع بين عناصر الجنس الواحد بالجمع بين صفاقتها المميزة وهيئتها وزنتها، والاستعمال نتج عنه معرفتهم من دراسة دلالات التراكيب والألفاظ بحسب السياق مع مراعاة المعاني الوضعية.

ج-عزل النص عن منتجه ودور المتكلم ومقتضي الحال: نظر عبد الرحمن الحاج صالح الى تحليل النصوص عند العرب وفرق بينهم وبين التحليل البينوي الذي بعزل النص عن منتجه وعن السياق بخلاف العرب الذين يولون اهتماما كبيرا بما يستدعيه مقتضي الحال ودور المتكلم وتصرفاته بحسب الأغراض وكذلك أحوال السامع وغير ذلك مما له دور في عملية التخاطب. [29]

د-وظيفة اللّغة والعلاقة القائمة بين الكلمات: ركز البنيويون في دراستهم للغة على الوظيفة وهي التبليغ والتواصل، وما ليس له دور في هذه الوظيفة لا يدخل في ميدان البحث اللغوي اي لا يؤدي التبليغ وقد راعى النحاة العرب هذا الأمر حيث اعتمدوا على الوظيفة بشكل واسع في المعاني وفي تفسير بعض الشواذ ولم يعتمدوها في تفريع البنى من أصولها ومن ثم كيفية تولدها باللجوء الى هذه الوظيفة بل ركزوا على العلاقات القائمة بين مختلف الكلمات.

-لقد استفاد الحاج صالح كثيرا من نقد **تشو مسكي** " Chow musqué " للبنيوية على أساس أن النحو التوليدي قام على نقد البنيوية وقد لمح الى ما أحدثته مدرسة النحو التوليدي التحويلي الامريكية من تمثيل لبنية الجملة بتفريع الفروع على شكل شجرة وصاحبها ..... تشومسكي[30] وتصور الحاج صالح أهمية لنظريته فرأى تقاربا بينها وبين النحو العربي، يقول: " أما فبما يخص نظرية تشومسكيChow musqué " فلا بد أن نعترف لهذا الرجل العبقري بالفضل الكبير على اللّسانيات كما لابد ان نلفت اللسانين إلى أنه قد عرف الشيء الكثير من النظريات والتصورات اللغوية العربية وذلك من خلال دراسة النحو العبري ..... ومن خلال دراسته لمتن الاجرومية وتفطن الى مفهوم القاعدة

النحوية .. [31] "لكن ليس معنى هذا ان النحو العربي والتوليدية الأمريكية متطابقان. وقد ركز عبد الرحمن الحاج صالح على فرقين جوهرين هما :

منطق التحويل: اهتم التوليديون بالتحويل الذي يؤدي دور المفسر لمختلف التغيرات التي تطرأ على البنية العميقة في الجملة وتظهر على مستوى البنية السطحية ، "لان التحويل عندهم وسيلة تفسيرية بين البنية العميقة والسطحية ولا تتعدى الجملة بل هي محصورة فيها ، يقول الحاج صالح : "لم يهتموا إلا بنوع واحد من التحويلات التقديرية " [32] اما النحاة العرب فقد كانت نظرتهم مختلفة الى التحويل : فإذا لم تكن هناك مخالفة الى الأصل لا يلجا إلى التحويل .وإذا حدثت مخالفة الفرع للأصل يلجا إلى التحويل. يقول الحاج صالح عن هذا الاختلاف : " التزم النحاة بفرض تقدير اذا جاء اللفظ على ما يقتضيه بابه فكلما اتفق اللفظ مع الأصل فلا كلام فيه وهذا بخلاف ما تزعمه أتباع تشومسكي حيث عمّموا... مفهوم التحويل التقديري وجعلوا لكل لفظ ظاهر بنية عميقة ذات دلالة "

ويضاف إلى هذا الفرق جعل النحاة العرب النظام اللغوي كله أصولا وفروعا فالتحويل عندهم عبارة عن تفريع بعض عن عبارات اخرى تعتبر ابسط منها وبالتالي اصولا لها والفرع هو الاصل مع الزيادة اي مع شيء من التحويل. فالانتقال من الاصل الى الفرع هو تحويل يخضع الى الفرع هو تحايل يخضع لنظام من القواعد"[33]

فلم يكتف النحاة العرب بالنحو التقديري فقط بل عمموا التحويل غير التقديري واجروه على التحويل بأجمعه وهذا هو الفرق الجوهري بين العرب والتوليد بين الأمريكيين.

1- مبدا التّحليل: منطق التّحليل عند التولديين هو الجملة دون تحديد سابق بها على اساس انها تكون من مركب اسمي ومركب فعلي. اما منطق النحاة العرب فمنطق التحليل هو واقع اللفظ وواقع الخطاب نفسه"[xxxiv] فالمنطق في تحديد المكونات التي يتكون منها الكلام هو الكلام ذاته لا يفرض النحاة شيئا

كما هو الحال مع التوليديّن، فلا يمكن التدليل على وجود شيء مفترض بأقل ما ينطق به هو اسم او فعل تعلق بمحذوف لكنه مستقل من حيث النطق.

–كما ركّزوا على اقل ما ينطق به من الكلام المفيد مما هو أكثر من اللفظ لتحديد البنية التجريدية للجملة في العربية والتي قد انطلقوا في ذلك التركيز من الكلام التواصلي. ثم يحافظون على النواة بعد ما يزيدون ما يمكن زيادته. لأنها الأصل وتفريع فروع اخرى على ذلك الأصل، وأطلقوا مصطلح العامل على التأثير تلك الزيادات على النواة تأثيرا لفظيا أو معنويا.

–وما تؤثر عليه الزيادة أطلقوا عليه معمولا وقد مثّل الحاج صالح للجملة العربية مخطّطا يمثل هذه الفكرة (5ع م1) – 1م2) –+خ وهي كالتالي

–ع هي العامل. م1 هي المعمول الأول. م2 هي المعمول الثاني. خ هي المخصص () هي الترتيب الواجه () هي الوحدة التركيبية الصغرى[xxxv] .

–و بهذا تكون النظرية الخليلية الحديثة قد أثبتت الجدارة في أفكارها فهي تشكل منهجا وقيمة في الوقت نفسه في البحث اللساني العربي فالفرق شاسع بين النظريتين.

اللّغة وضع واستعمال اي نظام من الأدلة المتواضع عليها واستخدام هذا النظام، وقد نتجه إلى تفسير ظواهر الإفادة والتبليغ باعتبارها تخص اللفظ هو اعتبار خاطئ وقد حذر من الخلط في التحليل بين البنية اللفظية الهيكل البنيوي للجملة وصيغة الخطاب تتكون من مسند ومسند إليه[37] فالنحاة على تعبير الحاج صالح يميزون بين ما هو راجع إلى الوضع وما هو راجع الى الاستعمال أي بين ما يخص اللفظ الموضوع للدلالة على معنى وبين مايؤديه اللفظ من معاني مقصودة بالفعل وهي والأغراض .[xxxvi]

الخاتمة: ومن خلال هذا العرض الموجز تبين لنا ان النّظرية الخليلية الحديثة هي نظرية لسانية عربية جديدة لها أسسها المعرفية ومفاهيمها الأساسية وإجراءاتها في التحليل ومجالات تطبيقها ونتائجها. وهذه المبادئ والتصورات الأصلية قد

أكسبتها كفاية علمية حيث توضحت فيها الرؤية. وتحدد فيها الهدف وتباينت خصوصية النظر وأصالة المفاهيم المعتمدة. وهي تدعوا اهل الاختصاص إلى إعادة قراءة التراث اللّغوي العربي وتحديدا ما خلفه الخليل وتلاميذه. فقد يوجد فيها ما لا نجده في اللسانيات الحديثة ، كما تدعو الى بناء مناهج التعليم على أسس ومفاهيم الفكر الخليلي الرائد والفذ وهي امتداد للأعمال الخليلة التي قدمتها الطائفة الأولى من النحاة القدامى حيث تحاول تعريف الدّارسين بخصائص اللسان العربي ومضامينه انطلاقا من اللسانيات الحديثة وأكدت هذه النظرية أهمية قراءة التراث العربي في ضوء النظريات اللسانيات الحديثة، فمفاهيم النظرية انطلقت أساسا من إعادة قراءة التراث اللّغوي العربي الأصيل والبحث في خفاياه، وذلك بغية التأكيد على ما أحدثه الخليل وسيبويه ومن سار على نهجهما من طفرة تلقائية في تاريخ علوم اللسان البشري، بعد ما انصرف الكثير من المحدثين إلى الدّراسات الغربية الحديثة وانهالوا عليها.

المصادر والمراجع:

1 – عبد الرحمان الحاج صالح بحوث ودراسات في اللّسانيات العربية، ،ج1 موفم للنشر والتوزيع. الجزائر، 2012) ص129.

2 ـ د/ عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط2، ليبيا 1986،26.

3 . عبد الرحمان الحاج صالح. تكنولوجيا اللغة والتراث اللّغوي العربي الأصيل، ص282.

4 ـ منذر عياشي قضايا لسانية حضارية، دار طلاس دمشق، دط

5 ـ خولة طالب الابراهيمي، مبادئ في اللّسانيات، دار القصبة، حيدرة الجزائر 2000، 56.

6 ـ عبد الرحمان الحاج صالح. المدرسة الخليلية والدراسات، اللسانية الحديثة في العالم العربي، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، 1987

7 ـ عبد الرحمان الحاج صالح. النحو العربي والبنيوية، اختلافها النظري والمنهجي.

8 ـ عبد الرحمان الحاج صالح. النحو العربي والمنطق الارسطي، مجلة كلية الآداب، ع1، 1964، جامعة الجزائر. ص44.

10–براهيمي شافية، تدريس الجملة الإسمية في ضوء النظرية الخليلية: رسالة ماستر2012–2013، ص8.

11 ـ نسيمة قاسي، مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر 2011. ص88

الهوامش:

[1]– بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: عبد الرحمان الحاج صالح، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012) ص129.

[2]– تدريس الجملة الإسمية في ضوء النظرية الخليلية: براهيمي شافية ب، رسالة ماستر2012–2013، ص8.

[3]– –بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ، عبد الرحمان الحاج صالح ج1، موفم للنشر والتوزيع، ص129.

[4]– النظرية الخليلية الحديثة: عبد الرحمان الحاج صالح، مجلة اللغة والأدب، ع10، معهد اللغة العربية، جامعة الجزائر،1996، ص69.

[5]– تكنولوجيا اللغة والتراث اللغوي العربي الأصيل، عبد الرحمان الحاج صالح ص282.

[6]– النظرية الخليلية الحديثة، عبد الرحمان الحاج صالح مجلة اللغة والأدب، ،ص69.

[7]– النحو العربي والمنطق الارسطي عبد الرحمان الحاج صالح، مجلة كلية الآداب ع1 1994، جامعة الجزائر، ص:44.

[8]– المرجع نفسه، ص:58 .

[9]– المرجع نفسه، ص:57 .

[10]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[11]– المدرسة الخليلية والدراسات، اللسانية الحديثة في العالم العربي عبد الرحمان الحاج صالح، مقال بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، 1987، ج1/ص:217.

[12]– المرجع نفسه، ج1/ ص:217–218.

[13]– بحوث ودراسات في اللسانيات، عبد الرحمان الحاج صالح، ج1، ص:221.

[14]– المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسلنية الحالية في العالم العربي عبد الرحمان الحاج صالح، ج1/ ص223 .
[15]– المرجع نفسه، ج223/1 .
[16]– النظرية الخليلية الحديثة عبد الرحمان الحاج صالح، ص107.
[17]– مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الابراهيمي دار القصبة، حيدرة، الجزائر 2000ص56.
[18]– التفكير اللساني في الحضارة العربية، د/ عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب ط2، ليبيا 23.1986
[19]– الجوانب العلمية المعاصرة لتراث الخليل وسيوبه عبد الرحمان الحاج صالح، بحث قدم في مجمع اللغة العربية بالقاهرة. سنة 2002. كتاب بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ج2/ص77 .
[20]– قضايا لسانية حضارية، منذر عياشي، دار طلاس دمشق، دط، ص14 .
[21]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[22]– بحوث ودراسات في اللسانيات العربية عبد الرحمان الحاج صالح، ج2/ ص:23-24-25-26 .
[23]– النحو العربي والبنيوية، اختلافها النظري والمنهجي عبد الرحمان الحاج صالح مقال في بحوث ودراسات في العربية، ج2/ ص24
[24]– النحو العربي والبينوية عبد الرحمان الحاج صالح ،،ج2/ 25 .
[25]– النحو العربي والبينوية اختلافها النظري والمنهجي عبد الرحمان الحاج صالح ج26/2 .
[26]– المرجع نفسه، ج2/ص27 .
[27]– المرجع نفسه ج2/ص: 34 .
[28]– المقال نفسه ج2/ص: 37 .
[29]– بحوث ودراسات في اللسانيات العربية عبد الرحمان الحاج صالح، ج1/ص67 .
[30]– المرجع نفسه ج215/1 .
[31]– المرجع نفسه. ج212/1
[32]– المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي عبد الرحمان الحاج صالح، ج223/1
33. بحوث ودراسات في اللسانيات العربية عبد الرحمان الحاج صالح، ج217/1 .
[33]– المرجع نفسه ج249/1 .
[xxxiv]– المرجع نفسه ج254/1.
[xxxv]– نسيمة قاسي، مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر 2011: جامعة مولود معمري تيزي وزو ص88.
[xxxvi]– النحو العربي والبنيوية، عبد الرحمان الحاج صالح ج36/2.